



في أقصى غرب دمشق، مجاعة وحصار يفتكان بآلاف المدنيين في بلدات شمال غرب دمشق في مقدمتها بلدة مضايا، التي ملأت الدنيا، وشغلت السوريين خلال الأيام الماضية، من خلال أنباء وصور المحاصرين من أبنائها، الذين قضى منهم العشرات جوعاً وبرداً، فيما ينتظر آخرون الموت أمام مرأى ومسمع المجتمع الدولي.

حصيلة قتلى التجويع الذي يمارسه النظام وحلفاؤه ارتفعت يوم أمس السبت، بوفاة 3 أشخاص جدد من أهلاها نتيجة الجوع والبرد، بينهم طفل، وبوفاة كل من سليمان فارس وابنه وممدوح علي حسين، ترتفع حصيلة الابادة بالجوع إلى 26 منذ سبعة أشهر، ستة منهم عمرهم أقل من عام وخمسة فوق سن الستين، أما الباقون فهم بين عمر الخمس سنوات والستين سنة، يتوزعون بين 21 ذكرأً و5 إناث.

مضايا تخلف المجازرة التي ارتكبها النظام وحلفاؤه أيضاً في مخيم اليرموك، وبخشى كثيرون أن تسلم "الراية" لمدينة دير الزور، في أقصى شرق سوريا، التي دخلت عامها الثاني من مأساة التجويع والحصار التي يرزح تحتها آلاف المدنيين، في مساحة لا تتجاوز الأربعة كيلومترات مربعة، على يد كل من تنظيم "الدولة الإسلامية" حيال الأحياء التي لا تزال تحت سيطرة النظام، من جهة، فيما يفرض الأخير حصاراً مماثلاً على الأحياء التي انتزع التنظيم السيطرة عليها، من جهة ثانية، ما خلق أزمة إنسانية يدفع ثمنها منذ عام مدنيون، وجدوا أنفسهم أسرى حصارين ومشروعين يتصارعان للسيطرة والنفوذ على جغرافية غنية بالبترول، والموارد.

هجوم على مناطق المعارضة في دير الزور:

وكان تنظيم "داعش" قد انتزع السيطرة على أحياء داخل مدينة دير الزور في أواخر عام 2014 ، كانت بحوزة فصائل المعارضة السورية المسلحة، إثر هجوم شنه في أواسط ذاك العام، بدأ من شرق المحافظة، حيث مدينة البوكمال على الحدود مع العراق، مروراً بـالمليادين، أكبر مدن ريف المحافظة التي باتت جميعها تحت سيطرة التنظيم، باستثناء المطار العسكري وعدد أحياء في المدينة، لازالت تحت سيطرة قوات النظام. منها أحياء: الجورة، القصور، هرابش، والتي تضم نحو 150 ألف مدني، فيما تضم الأحياء، التي تقع تحت سيطرة التنظيم نحو 15 ألف مدني.

تعدّ محافظة دير الزور من أكبر المحافظات السورية لجهة المساحة، وتضم حقول النفط الرئيسية الكبرى في سوريا من حيث كمية الإنتاج، فضلاً عن كونها محافظة زراعية بامتياز؛ إذ يمرّ في جغرافيتها نهر الفرات، الذي أقام عليه فرنسا إبان احتلالها لسوريا في العشرينيات من القرن الماضي، جسراً معلقاً كان يعدّ أيقونة هذه المدينة قبل أن يدمره طيران النظام في منتصف عام 2013 ويخوجه عن الخدمة.

وضع مأساوي:

يصف الناشط الإعلامي محمد الخليف الوضع داخل دير الزور بالأسوأ، ويضيف في حديث مع "العربي الجديد": انعدمت كل وسائل الحياة داخل المدينة، حيث ندرة وغلاء الأغذية والأدوية، ووسائل التدفئة في فصل الشتاء، وتخلف التعليم، فاضطرر عدد كبير من أبناء المدينة التي كانت تضم نحو 700 ألف نسمة إلى هجرها داخل وخارج سوريا، ومن بقي منهم يعانون جراء صراع النظام وتنظيم "داعش".

وأشار الخليف إلى أن النظام لا يسمح لأحد في الأحياء التي يسيطر عليها بالخروج منها إلا مقابل دفع رشى تصل لأرقام خيالية ليس بمقدور المدنيين دفعها، موضحاً أن التنظيم لا يستقبل أحداً من مناطق النظام إلا بعد تحقيق، ومن ثم الخضوع لـ"دورة شرعية يقر مدتها أربعين يوماً".

ومن داخل المدينة المحاصرة يؤكد أحد الناشطين (فضّل عدم الكشف عن اسمه) أن ما يراه العالم عن مأساة أهل مضياف يعني منه أهل مدينة دير الزور منذ أشهر دون اهتمام إعلامي يُذكر، مضيفاً أن "الناس هنا تكاد تصل إلى حدود المجاعة الحقيقة"، وأشار إلى أن النظام يمارس سياسة إذلال منهجه، بحيث يبيع الطعام بأسعار مرتفعة، ولا يسمح للمدنيين بالهربة جواً إلى العاصمة دمشق، إلا بعد دفع أموال لم يعد أحد قادرًا على دفعها، كما لا يسمح إلا نادراً بالخروج إلى المناطق التي يسيطر عليها تنظيم "داعش".

وقالت الحكومة السورية المؤقتة من مقرها في مدينة غازي عينتاب جنوب تركيا، إن المحاصرين في مدينة دير الزور يعانون ظروفاً يندى لها جبين الإنسانية؛ إذ لا تتوفر الكهرباء منذ أكثر من تسعه أشهر، وتنعدم الخدمات الصحية التي ينوء بحمل عبئها مستشفى واحد بإمكانيات متواضعة، مشيرة في بيان إلى أن الأفران توقفت عن تقديم مادة الخبز ما عدا واحداً منها لا يكفي لتزويد المحاصرين بالحد الأدنى الكافي للاستمرار في الحياة بعدما أوقف النظام تزويده هذه الأفران بالوقود، وفق البيان.

عشرات المحاصرين:

وأشارت الحكومة إلى أن عشرات المحاصرين من أطفال وشيوخ ونساء قضوا نحبهم نتيجة الحصار، مؤكدة أن النظام الذي وصفته بـ"العصابة المجرمة" يفرض على من يريد الخروج مبالغ طائلة تصل إلى مليون ليرة لمن يريد الخروج جواً، ونصف مليون ليرة لمن يرغب بالخروج براً.

من جانبه، يقول الكاتب والمعارض ماهر سليمان العيسى (وهو من أبناء المدينة)، إن "دير الزور تعاني من حصار مركب يتشارك في فرضه على البسطاء وحشان يتنافسان لوحدهما في مستوى الانحطاط الذي لا يجاريهما فيه أحد"، في إشارة إلى

النظام والتنظيم، وأضاف في حديث مع "العربي الجديد": لا يعنيهما أي معيار للحقوق، أو للتمدن، أو للوطنية، أو حتى الإنسانية.

وكل منهما يحتمي بـلحם البسطاء الذين يحتجزهم لديه، بدليل أن كلاً منها لا يسمح لمن يريد أن يغادر المدينة إلا بالرши والواسطات والإذلال، ويصل الأمر إلى أن يتنازل المرء عن كل ما يملك، ليخرج وعائلته من أتون هذه المحرقة، أو ليحصل مثلاً على معونة طيبة نتيجة إصابة أحد هذين الطرفين تسبب بها".

ويخلص العيسى إلى القول إنه "هولوكوست معاصر ينفذ على مهل في الظل من الصراع في سوريا، ينفذه أوغاد هذا الزمان ممن لا يرون في البشر سوى دريئه صد يحتمون خلفها"، وتعاني مدينة دير الزور التي تعرض غالبية أحيائها للتدمير بقصد طيران النظام، ومن بعده الطيران الروسي، من إهمال إعلامي لمأساة أبنائها، إذ يمنع النظام والتنظيم العمل الإعلامي، باستثناء ما يسر به ناشطون من معلومات وصور، دفع بعضهم حياته جراء ذلك.

وفي هذا الصدد، يقول العيسى: "لقد كان للإهمال الإعلامي الغريب والمريض في آن أثر سلبي في الاستفراد بهؤلاء البسطاء من قبل هذين الغولين المتواحشين (نظام الشبيحة وداعش)، فجرى التعنيف على كل ما يجري هناك حتى على أبناء المنطقة المغتربين، وكان العالم استسلم إلى أن هذه المدينة وتلك المنطقة عموماً مقرّ ومستقرّ معترف به ومرضى عنه لهذه القسمة بين هذين الطرفين اللذين لا يتواجهان إلا نادراً، ولهذا يلقى كل منهما الوقت الكافي لإذلال من يحتجز عنده من رهائن سطاء".

ويضيف: "ترك ما يربو عن 180 ألف مواطن لمصيرهم دون حتى ذكر لمعاناتهم وما يلقون، فقط لأنهم بقوا في أرضهم، أو حتى عجزوا عن الهرب منها حين هرب الهاريون".

العربي الجديد

المصادر: